الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص. ب ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle

Beyrouth - LIBAN

B.P. 4123 - Tel: 232832

الادارة : شارع سوريا ـ بناية درويش

صاحبها ومديرها المسؤول

الدكتور سهيل ادريس

Propriétaire - Rédacteur

SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير

عايدة مطرجي ادريس

Secrétaire de rédaction

AIDA M. IDRISS

العدد ١٢

كانون الاول (ديسمبر

السنة الخامسة عشرة

* *

No. 12

Décembre 1967

15 ème année

ندوة «الآداب»

العرب بين العالمية والأصالة

حول المستشرق الفرنسي المعروف البروفسور جاك بيرك ، عقدت مجلة « الآداب » ندوة فكرية في بيروت شارك فيها الاساتذة الدكتور قسطنطين زريق (ق. ز) والدكتور عبد الله عبد الدائم (ع. ع. د) والدكتور علي عثمان (ع. ع) والدكتور شارل رزق (ش. ر) والدكتور سهيل ادريس (س. ا) ومحمد النقاش (م. ن) وجوزيف مغيزل (ج. م) . وفيما يلي تسجيل لهذه الندوة .

س. ا : بعد نكسة ٥ حزيران الماضي ، ما هي في رأيكم منظورات العمل العربي الجديد ؟

ج. ب : انا مهتم بالبحوث الكيانية اكثر من اهتمامي بالبحوث الحوادثية ، واعتقد ان النواحي الثقافية عامة والتحليلية خاصة من اهم العوامل تأثيرا على التاريخ ، وربما كان هذا موقفا عقلانيا ، ولكني أعتقد ان القضايا الثقافية ليست اضافية او مما يستغنى عنه في نهج المجتمع ، بل هي أصلية وعريقة . فانا مثلا ارى ان ليس هناك اقطار متخلفة اقتصاديا sous-developpés ، بل هناك اقطار متخلفة تحليليا sous-analysés . ولو تناولنا التخلف الاقتصادي عن طريق البحث الاجتماعي لرأينا ان معظم عوامل التخلف صادرة عن عدم العثور على الثروات الكامنة في المجتمع نفسه ، وهذا موضوع تحليل بالدرجة الاولى . ولو طبقنا هذا المبدأ على الموقف في الشرق الاوسط لوصلنا الى بعض النتائج الايجابية . على ان هناك ملاحظة هامة ، هي أن « الشرق الاوسط » ليس جزيرة ، لان العالم لا يعرف جزائر . ولا ريب في ان القوى الخارجية الاجنبية قد لعبت دورا هاما في تكوين المشكلة وفي تعقيدها . غير ان علينا ان نقف على الاسباب التي تمكننا من الوقوف على المشكلة ومحاولة ايجاد حل لها .

ق. ز : لا شك في ان المبدأ العقلاني الذي يستند اليه الاستاذ بيرك مبدأ جليل جدا . والواقع ان الذي يحيرنا هو ما يلي : هذا الغرب الذي يمثل العقلانية في هذا العصر ، او يدعي انه يمثلها ، كيف ولماذا لا يحلل المشكلة تحليلا عقلانيا ؟ اننا نؤمن انه لو فعل ذلك لتوصل الى نتائج اخرى .

ج. ب : انا لا اقول ان الغرب يمثل العقلانية ، فالحق ان سياسته غير عقلانية . ولو حللنا الموجة التي قامت في اوروبا واميركا عند بدء حرب ٥ حزيران لفوجئنا بقوة هذه الموجة ، ولا سيما في فرنسا . اننا لم نكن نتصور ان الدعاية الصهيونية قد انتشرت هذا الانتشار الواسع وشملت حتى الجبهة اليسارية في فرنسا . لقد رأينا الذين عرفناهم انصارا للتحرير في الجزائر وكوبا وسواهما يميلون الى جانب الصهيونية بلا بحث ولا تدقيق ولا تعمق ، منجرفين بموجة لاعقلانية وانطباعات عاطفية . والواقع ان هناك طائفتين : طائفة ما تزال ترفض التحرير ، وتريد ان تظل على اعتقادها بان الجزائر مثلا فرنسية ، وهؤلاء لا اهمية لهم ، وهم يمثلون الرجعية المحض ، وليس لهم من أثر ، لا سيما وانه كان بينهم لاساميون ، فأصبحوا بعد الازمة مؤيدين للصهيونية ، مثل « كزافيه فالار » الذي كان وزيرا للشؤون اليهودية في حكومة فيشي.. اما الطائفة الثانية وهي الاوساط اليسارية ، فموقفها هو الموقف الخطير ، ولا سيما سارتر ، صديق سهيل ادريس .

س. ا : صديقي ما دام صديقا للحق والعدالة . اما بعد ذلك ...

ج. ب : لقد سبق ان قلت لسهيل ادريس ان سارتر عقل كبير ، ولكنه مع الاسف يفتقر الى الذكاء السياسي . وليس من الضروري ان يكون العقل الكبير عقلا سياسيا ، ولكن المشكلة عند سارتر انه يريد ان يكون سياسيا فيما هو يجابه التيارات اليسارية ، ومنها الشيوعية ، بنوع من العقد النفسية . ففي ابان الحرب الجزائرية مثلا لقيت عنده نوعا غريبا من التطرف . كان ينفر من مفاوضات « افيان » ولا يريد سلما في الجزائر ، بينما كان الجزائريون يسعون الى سلم . ومن المؤسف ان سارتر الذي يبني معظم فلسفته على فهم الآخر L. Autre لا يفهم الآخر ، ولا يحس به . هو يقول : « الجحيم هو الاخرون » ، وانا اعتقد ان « الآخرين » هم النعيم . يخيل الي ان سارتر واليساريين

الفرنسيين جعلوا من الجزائريين اشبه بسياسيين يساريين ، بينما كانوا يبحثون عن شخصيتهم الذاتية لا أكثر . وفي قضية الازمة الاخيرة، لم يستطع سارتر ان يتغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيوني ، فاعتبر اسرائيل ضحية ، وقلب القضية ، فاعتبر اسرائيل مدعى عليها . والواقع ان الدعاية الصهيونية بلغت ان تقلب الحقيقة التاريخية في اوروبا كلها ، بحيث أصبح الذين كانوا ينتقدون الاستعمار يسمحون به لاسرائيل فيما هم ينفونه عنها طبعا . انهم ينفون ان يكون الوجود الصهيوني استعماريا ، حتى عقليا . مثال ذلك قولهم ان المستعمر هو الذي يدخل الرأسمالية الكبرى في بلد ما ، اما الصهيونيون فيردون بقولهم : ليس لدينا عمال من العرب ، فنحن نشتغل في الارض والمصنع ، ولا نستعمر العرب . وبامكاننا ان نتساءل : أيهما أخطر ؟ ان نجعل المواطن عاملا في مصنع ، ام ان نقتله او ننفيه ؟

س. ا : هناك ، في المفكرين اليساريين ، فئة ثالثة بالطبع ، وموقفها مختلف ...

ج. ب : نعم . ان البديهية التي أشرت اليها كانت نقطة الانطلاق التي أسسنا عليها ، بعض اصدقائي وانا ، حركة فكرية بعدما فوجئنا بقوة الموجة الصهيونية . ففي اوائل حزيران . وجدت نفسي منفردا ، فسعيت للقاء يساري كبير هو دانيال ماير ، رئيس جمعية حقوق الانسان ، وهو رجل احترمه وانتخبه لرئاسة الجمهورية اذا تقدم لها ، فوجدته يكاد يخرج من عقله تجاه موجة التضليل الصهيوني . وكان كثيرون منا يعتقدون ان معظم اليهود الفرنسيين ينفرون من الصهيونية ، ولكن بدافع الاسف انهم يميلون الى اسرائيل ، باستثناء فئتين : فئة تدين بالولاء لجنسيتها الفرنسية ، والفئة الماركسية التي كان بينها مكسيم رودنسون . وكانت تربطني علاقة به وبغيره من المفكرين والوزراء السابقين ، ومنهم اندريه فيليب الاشتراكي المشهور وبيار كوت والوزير بيرون . وقد كونا جماعة أصبح عدد افرادها الآن يزيدون على ثلاثمئة ، وسننشر عما قريب كتابا عن القضية الفلسطينية يضم بحوثا ومقالات نأمل ان تكون موضوع حوار بيننا وبين اصدقائنا العرب .

س. ا : هل تعتقدون يا استاذ بيرك ان هذه الحركة سيكون لها تأثير يجعل اليسار ، الذي كان من المفروض ان يقف الى جانب العرب في هذه القضية ، يحس بتكبيت في الضمير ويحاول أن يغير موقفه ؟

ج. ب آ ان للعامل الفكري في فرنسا تأثيرا كبيرا على القضايا السياسية ، كما حدث في شأن الجزائر بالامس ، وفي شأن الفيتنام اليوم . وانا متفائل بالاجمال . وقد حدث ان انتصرنا في كل مناقشة اجريناها بشأن قضية فلسطين . وقد اقترحنا لقاء مع سارتر ، فلم تتح لنا الفرصة . واعتقد ان سارتر هو الآن في وضع تردد وتمزق .

س. ا : الا تعتقد ان هذا الوضع ، وضع التردد والتمزق ، علامة جيدة بالنسبة لمفكر يساري ؟

ج. ب : بلى ، طبعا .

ع. ع : بالنسبة لموازين القوى المختلفة في قضية فلسطين نعرف جميعا ثقل اميركا في مجرى الحوادث . واعتقد ان وظيفة الفكر في اوروبا تختلف عن وظيفة الفكر في تسيير السياسة الاميركية التي هي وسيلة لتحقيق المصلحة وحدها . وهناك تناقض بين المثل والمصلحة ، ولو كانت الفيتنام بلدا شماليا ، من البلاد السكندينافية مثلا ، لما سمح الاميركي لنفسه ان يقتل فيها ويهدم ، كما يفعل الان .

ج. ب : هذا صحيح .

ع. ع : وبهذا المقياس نفسه اقول ان الغربيين يسمحون لانفسهم بان يكونوا ادوات حين يؤازرون الصهيونية التي هي اقرب اليهم صورة.

ج. ب : ولكنهم في الحقيقة ليسوا اقرب .

ع. ع : غير ان الغربي يتصور أن اليهودي اقرب اليه كانه ابن عمه ، اما العربي فغريب ، وهكذا يسمح لنفسه بان يعتدي على العربي.

ج. ب : ولكن هذه الغربة هي التي تنقذ العرب في نهاية الامر . فانا ارى ان اميركا او اية سياسة غربية لن تستطيع ان تنتصر بقطع علاقاتها مع العالم الثالث اكثر من ثلاث سنوات او اربع ، ولا أحسب ان اميركا تستطيع ان تمضي طويلا في سياستها بشأن اسرائيل او فيتنام ، لان هذه السياسة ستكون اغلى عليها من الثمن المأمول .

م. ن : ولكن مضى على هذه السياسة عشرون عاما !

ج. ب : في العشرين عاما الماضية كانت القضية مبهمة . اما الآن، فقد تغير الوضع .

ع. ع : لقد اضعنا عشرين سنة ونحن نعتقد أن الاميركيين الذين اسسوا الجامعة الاميركية هم الاميركيون الموجودون في واشنطن . وبعد ذلك وجدنا انهم يختلفون عنهم اختلافا جوهريا .

ج. ب : نعم .

ع. ع : ان الذين اتوا في بداية الامر هم الذين اعطونا هذه الصورة عن الاميركيين .

ج. ب : لا بد من العودة الى النقطة الاولى ، وهي ان على العرب ان يبينوا قضيتهم لكي يكتسبوا التعاون الاكثر امكانية من قبل الاوطان الاخرى في العالم الثالث من جهة ، وفي اوروبا واميركا اللاتينية من جهة اخرى . والسؤال هو : ما هي الوسيلة الى ذلك ؟ والجواب هو : البحث العلمي الذي ينبغي الا نقبل الا به .

م. ن : اذا تركنا الزمان للبحث العلمي الطويل ، فلسنا ندري كيف يتطور العالم في المستقبل . فربما دخل في البحث العلمي أشياء ليست في صالحنا ، من مثل الاسلحة النووية . واذا بقيت اسرائيل طويلا ، فلن ينفعنا البحث العلمي ولا سواه .

ج. ب : لا اقصد بالبحث العلمي الاطروحات الجامعية ، بل اقصد الاعمال المبنية على تحليلات علمية محققة منطقيا . فهل قام العرب بشيء من ذلك منذ عشرين عاما ؟

ع. ع : اود أن استفسر : هل المقصود البحث العلمي داخليا في المجتمع العربي لنعرف كيف تحرك هذا المجتمع نحو اهدافه ، ام البحث العلمي الموجه نحو الآخرين ؟

ج. ب : الامران معا .

س. ا : وهل من الضروري ، لكي تنتصر قضية الحق ، أن تكون دائما مدعومة بالبحث العلمي ؟ اذا كانت هناك قوتان : احداهما تملك القوة العسكرية وتملك في الوقت نفسه البحث العلمي ، والاخرى تملك الحق وحده ، فهل من منطق التاريخ وتطوره أن ينتصر من الجانبين من كان يملك القوة وحدها ؟

ج. ب : هل يتوجه سؤالك الى المدى الطويل ام القصير ؟ اذا كان على المدى الطويل ، فالحق والقيم والعلم والمنطق شيء واحد . اما على المدى القصير فلا . فخذ مثلا تاريخ الاستعمار او الامبريالية تجد انه خال من المنطق . الامبريالية سطحيا كانت منطقية ، اما داخليا فلا . وانا أخالف ماكس ويبير وكل العلماء الاجتماعيين الذين يرون ان النمط الغربي الاستعماري الرأسمالي يمثل المنطق الاقوى . فهذا ليس صحيحا حتى بأبسط المقاييس .

ع. ع. د : اوافق كل الموافقة على ان الاساس الثقافي يغلب جميع الاسس ، وهو الذي ينبغي ان نلتمسه في دراسة اية مسألة ، او الاسباب العميقة للمشكلات . وهناك وجهان للمشكلة التي نتدارسها : الاول هو التحليل الثقافي للعوامل المختلفة التي تدفع المجتمع الغربي والمجتمعات الاجنبية الى موقفها من قضيتنا . والوجه الثاني هو تحليل مجتمعنا وثقافتنا لنتبين العلل الحقيقية التي تجعلنا نقع في ما نقع فيه من صعوبات ونكسات. ولا شك في أن الجانبين مترابطان، فنحن حين نفهم العوامل الثقافية في المجتمعات الغربية نصبح اقدر على التعامل معها وعلى اقناعها بوجهة نظرنا اذ ننطلق حينئذ من الاسس الثقافية التي نعتمد عليها ، وبالمقابل حين نفهم انفسنا ونصبح اقدر على تحليل الاسباب العميقة للظواهر التي تقع في المجتمع ، نكون قد تكلمنا لغة جديدة يستطيع الغرب ان يفهمها الى حد كبير . وانا أؤمن تماما بصحة هذا الطريق ، وبصورة خاصة في المدى الطويل ، كما يقول الاستاذ

بيرك . والحق اني مؤمن أصلا بالحلول البعيدة المدى ، لا الحلول العابرة ، واعتقد ان الازمات العابرة مهما تبد عنيفة وملحة فليست شيئا في ميزان البنيان الحقيقي للمجتمعات . ان التقلب في اي مجتمع من المجتمعات هو الى حد كبير تقلب ثقافي ، وان بلدا متخلفا هو بلد متخلف ثقافيا sous-enseigné . ولكن خشية التفسير الواحدي Explication linéaire للموضوع لا بد من الاخذ ببعض التفسيرات الدائرية Circulaires بالنسبة لما يجري في مجتمع من المجتمعات. ولا شك في ان العوامل الثقافية في المجتمع العربي هي المهملة وهي التي ينبغي أن يصب عليها القدر الاكبر من النور . ولكن لا شك كذلك في انها تتفاعل تفاعلا قويا مع عوامل اخرى هي العوامل الاقتصادية المرتبطة بدورها بالعوامل السياسية الدولية والمرتبطة ايضا بالعوامل الاجتماعية . واستطيع ان اقول ان معركة البلاد العربية يمكن ان تكون على جانبين وبسلاحين في آن : طريق العمل الثقافي الدؤوب الطويل الذي يعطي النتائج الاساسية في المستقبل ، وطريق العمل اليومي دون أن نعطي هذا العمل اليومي اية قيمة نهائية وحاسمة ، ويبقى اني اوافق تماما على ان منطلقنا يجب ان يكون تحليل الامور تحليلا جديدا علميا دقيقا .

ج. ب : اسمحوا لي ان اضيف شيئا آخر ، هو ان النكبات في تاريخ الامم شيء عادي . وتاريخ فرنسا مليء بالنكبات . لقد أصبنا بنكبة منذ سبعة وعشرين عاما ، ولكن اين نحن اليوم منها ؟ ان التاريخ الذي يدرس في المدارس لا يصاغ على الانتصارات ، بل على النكبات ، وهو تاريخ الامم كلها . ثم ان هناك ما يسمى بتسارع التاريخ بسبب القوى التكنولوجية المتزايدة التي تكبر وتعظم تحت تأثير القوى المادية . وانا اعتقد انها فرصة تسنح للعرب الآن لمراجعة انفسهم ولتحليل ماضيهم وحاضرهم تحليلا كافيا يساعدهم ، لا على حل قضية فلسطين وحدها ، بل على حل مشكلة تقدمهم لو عرفوا ما يفعلون وارادوا ان يفعلوا . اما اذا لم ينتهز العرب هذه الفرصة ، وربما كانت الاخيرة ، فأخشى ان يخسروا تراثهم كله . وهكذا ترون اني متفائل متشائم معا . الفرصة امامكم ، وعليكم ان تغتنموها .

ش. ر : اسمح لي باستيضاح : ان تسارع التاريخ في رأيك مفهوم ينطبق على تسارع الانماء ، أي التخلف من جهة ، والتطور الاقتصادي السريع من جهة اخرى .

ج. ب : هذا ملحوظ ليس فقط بين الامم الصناعية والاخرى المتخلفة ، بل بين البلاد الصناعية ذاتها . مثلا الفرق بين اميركا وفرنسا اكبر الآن منه قبل عشرين سنة . والفرنسي مثلا يحس بأنه لو كان يملك القوى الكافية لاطلق كوكبا ذا طنين او ثلاثة اطنان ، لا كوكبا ذا عشرة كيلو غرامات ، لانه يعتبر نفسه من نفس النمط في التقدم . اما المجتمعات الاخرى ، فلا تختلف عن الاولى بالكميات فحسب ، بل بالفرق النمطي ، كما هو الحال بين انكلترا ومصر مثلا ...

ق. ز : القضية اذن ليست في يد العرب وحدهم ..

ج. ب : لا بد من استغلال الامكانيات التي نملكها . صحيح ان للدول الاجنبية تأثيرا علينا ، ولكن للعرب تأثيرا على بقية الدول ايضا. وانا اعتقد ان للعالم الثالث مستقبلا .

ش. ر : تقول ان المستقبل للعالم الثالث الذي هو بالنسبة للولايات المتحدة والغرب عالم متقلب اجمالا ، فكيف توفق بين هذا وبين ما تؤمن به من هوة متزايدة الاتساع بين الدول الصناعية والدول المتخلفة ؟

ج. ب : انا أومن بالجدلية التاريخية . فالفرق نفسه كان قد وقع بين الطبقة الرأسمالية وطبقة العمال في اوروبا في القرن التاسع عشر .

ش. ر : أيكون ذلك عن طريق ثورة عالمية مثلا ، ام عن طريق منجزات تكنولوجية ؟

ج. ب : ثورات واكتشافات او مضاعفة النمط السائد لمضاعفة الدخل .

ش. ر : ان هذا يساعدنا على فهم اسرائيل : ان تدرك اليهودية العالمية الفرق بينها وبين اسرائيل والصهيونية روحيا .

ج. ب : لقد لعبت اليهودية بيدق العالمية ، اما العرب فلعبوا مع الاسف بيدق العزلة والانزواء . ان العرب هم الآن اكثر انزواء منهم منذ عشرين عاما . ان اليهود ممثلون في كل امة وفي كل طبقة وفي كل مستوى من العمل الفكري . انا أؤمن بالعالمية ، وايماني بالعالمية يجعلني أؤمن بنجاح العالم الثالث ، لاني أعتبره ممثلا للقوة الارضية التي ستنجح وتنتصر على سواها . وايضاحا لهذا ارجوكم ان تقرأوا كتابي La dépossession du monde

س. أ : لنعلق على هذه الفكرة المتعلقة بالعالمية . فيجب ان نلاحظ اولا ان الصهيونية لم تلعب ورقة العالمية على نطاق واسع ، ذلك ان هناك قسما من العالم لم يؤيدها ، هو المعسكر الشرقي بصورة عامة ، وبذلك فقدت نصف العطف العالمي او جزءا كبيرا منه ، ففقدت العالمية . على اننا نريد أن نتساءل عن هذه « العالمية » الباقية ، أي القسم الذي ايد اسرائيل والذي لعبت اسرائيل ورقته : ألم تلعب الصهيونية هذه الورقة لانها مستعدة لان تكون اداة في يد العالمية وفي يد الاستعمار العالمي ، في حين ان للعرب خاصة وللشرقيين بصورة عامة من نضالهم وتاريخهم الطويل ما يجعلهم ينفرون من هذه العالمية ويفضلون الانزواء ، محافظين بذلك على ما يسمونه باستقلالهم ، خوفا من أن يصبحوا في مدى قريب أو بعيد لعبة في يد الاستعمار ، كما هي اليوم اسرائيل التي تقرون ولا شك بأنها واقع استعماري ؟

ج. ب : أوافقك على ان العالمية ليست بأسرها الى جانب اليهود. على اني اناقش حكمك بان العالمية تتخذ مظهر الاستعمار . فليس صحيحا ان العالمية تناقض الاصالة Authenticité كما يبدو من كلامك . وانا لا ارى ان العالمية تناقض الاصالة ، وانما اعتقد ان الاصالة تنبني على العالمية والعكس بالعكس . وهذا شيء بديهي من زاوية النظر الجدلية . لنأخذ مثلا : ان التعمق في ذاتك هو الذي يجعلك قريبا من الآخر ، وتقربك للاخر هو الذي يجعلك تتعرف وتتعمق نفسك . وعلى هذا فالاصالة عنصر يتوازن مع العالمية .

ع. ع : أريد ان افسر انزواء العرب ، ان هذا الانزواء قد صدر على اثر اكتشاف الغرب . ونحن نعتقد أن التاريخ نفسه قد ينحرف ، ولكن لا بد له من العودة الى الاصل والاصالة . واسرائيل انحراف للتاريخ . وفلسفة التاريخ في القرآن ان الامم تأتي وتزدهر ولكنها قد تنحرف ، فتنقرض او تعود الى الاصل . من هنا اعتقادنا بان العالمية بالنسبة للعقلية الغربية ليست موزونة .

ج. ب : ولكن التقدم العربي ، في القرون الكبرى ، كان يملك فكرة عميقة جدا عن العالمية .

ع. ع : ان الغرب لم يصل بعد الى مفهوم الانسانية كما فهمها العرب ، بغض النظر عن كل العوارض جنسية كانت ام لغوية ام دولية ام قطرية . ان الانسان هو اولا انسان ، ومن هنا تنبع العالمية . والاصالة تغذي العالمية وتتغذى بها ، ولكن كل حضارة تندمج مع العالمية بعقليتها هي ، أي بأصالتها ، واصالتنا هي التي مكنتنا من ان نكتشف ان الغرب ليس كما يدعي وليس كما يصف نفسه . من هنا كان الانزواء. اما ما الذي يولده هذا الانزواء ، فأمر آخر .

ج. ب : ولكننا لا نبحث الآن عن القيمة المقارنة للتمدن والحضارة.

ع. ع : انا أبحث عن طريقة عملية لقضية معينة . فأنا اعتقد مثلا ان اليهود لا يفهمون هذه الحضارة ، وهم مخطئون .

ج. ب : انت على حق . وانا أضيف الى ذلك حجة اخرى ، هي في الحقيقة مفارقة عجيبة . فقد كان المستشرق ماسينيون يقول ان اليهود الحقيقيين الآن هم العرب ، وان الصهيونيين هم الغربيون الوافدون . ان اليهود اليوم يعودون الى العنصرية القبلية ، ولو كنت انا يهوديا لكنت أؤمن بان الصهيونية خطر ، خطر مميت . واذكر هنا بالمناسبة ان حاخاما يهوديا كتب لي بعد قيام حركتنا يؤيد فكرتي ويقول ان تكهناته تقوده الى ان القضية الصهيونية قضية خاسرة ..

س. ا : ولكننا لا نريد ان نطمئن وننام على الحرير بمجرد ان نسمع هذا !..

ج. ب : طبعا ، طبعا . لقد لعب العرب بيدق العالمية في القرون الوسطى ، فتجاور العربي مع الجميع : مع الفارسي والهندي والاوروبي والاندلسي والبيزنطي . ولكن هل بوسعنا اليوم ان نقول ان القضية العربية كانت محتلة في العالم ؟ ان العرب اليوم يتأرجحون بين عالمية تخلو من أصالة وأصالة تخلو من عالمية ، وتكتمل كرجعية ، مع الاسف الشديد .

م. ن : لماذا يتوجب على العرب ان يتحملوا مسؤولية عدم ثقافتهم او عدم عالميتهم بالنسبة لعالم يقول في الامم المتحدة ان الاستعمار قد انتهى وان لكل شعب الحق في العيش وفي تقرير المصير ؟ لماذا يجب على الشعب العربي ان يتحمل هذه العواقب بينما هناك شعب كشعب الكونغو قد حصل على استقلاله على الرغم من ان البلجيكيين يفوقون الكونغوليين حضارة وتقدما وعلما . لو تركنا مع اسرائيل وحدها لقضينا عليها بمفردها ، ولو بالتخريب . اما حين تأتي قوى كبيرة وضخمة لدعم اسرائيل ، فماذا يجب علي ان افعل ؟

ج. ب : تتخذ الوسائل الكفيلة بالتأثير عليها ، وشيئا فشيئا تجعل هذه القوة تنحاز اليك . حتى سؤالك : لماذا ؟ هل تطرحه على صعيد القيم ام على صعيد الوقائع ؟ لو جعلنا المنافشة على صعيد القيم لكان هناك شيء آخر : ان العرب هم الضحية ، وهذا ما لا شك فيه . اما على صعيد الوقائع ، فلا بد من ان نتساءل (وانا اعتبر نفسي منكم) ماذا نفعل ؟

م. ن : على صعيد الوقائع ، كما قال الدكتور سهيل ادريس ، على اعتبار ان هذه عودة للاستعمار الى بلاد غنية بالبترول والامكانيات الاقتصادية .

س. ا : وبعبارة اخرى : ان هذه الفكرة العالمية التي يجعلها الاستاذ بيرك عنصرا رئيسيا مكونا ومقوما لنجاح امة ، انما هي فكرة نحرص على ان نتمتع بها ونأخذها ونكتسبها لحسابنا حين نؤمن بصفائها وبراءتها من النزعات الاستعمارية ، ولكن القوى الخارجية تحرمنا دائما من ان نبلغها .

ج. ب : هذا جواب يتعلق بصعيد القيم . فليست المشكلة المطروحة هي البحث عن الاسباب التي ادت الى ذلك . انني اؤمن بالعالمية كقيمة وكحقيقة تاريخية . فلو أن العالم الاشتراكي نفسه الذي افضله على غيره من الانماط الاجتماعية الاخرى ابتعد عن العالمية ، فهو خاسر . انني عدو التمدن الاميركي ، ومع ذلك فان هذا النوع من العالمية المتبذلة يتمتع بقوى اكثر مما نشاهد في رحاب اخرى من العالم . ان العالمية حتى ولو كانت مزيفة وحقيرة تنتصر على ما ليس هو بعالمية ، اما نتيجة ذلك على مدى طويل او مدى قصير ، فأمر آخر . وانا آسف لان اقول هذا ، ولذلك تجدونني متفائلا متشائما في آن .

ق. ز : في عالم الوقائع اذن لا بديل من القوة .

ج. ب : ليست القضية يا عزيزي الدكتور زريق قضية قوة ، بل هي قضية نموذج سلوكي ، مسلك عالوي ينتهي بان ينتصر على ما ليس عالمية .

ع. ع. د : ولكنه ليس مسلكا اخلاقيا .

ج. ب : أقرك على ذلك ، وليس معنى هذا اننا ينبغي ان نخضع له.

م. ن : أصحيح ان اميركا تملك حظا من العالمية يفوق حظ الاتحاد السوفياتي منها ؟ اين تتجلى عالمية اميركا عندما نأخذ بعين الاعتبار قواها الرأسمالية ومخابراتها ؟

ج. ب : من الغريب ان اكون انا محامي النمط الاميركي ، هذه مفارقة كبيرة . ولكني طوال حياتي رأيت النمط الاميركي ينتشر في العالم اكثر من الانماط الاخرى . انظر حولك ، وحتى في روسيا نفسها للاسف الشديد .

س. ا : ولكن لنا من سلم القيم التي نتبناها ما يجعلنا لا نؤمن كثيرا بهذه العالمية التي تلتمس لها التبريرات احيانا بالرغم من زيفها

ج. ب : انا اقول انكم تستطيعون ان تحتفظوا باصالتكم . وما اقوله عنكم ينطبق على فرنسا . فلو انزوت فرنسا لخسرت ، ولكنها لو تخلت عن أصالتها لكانت خسارتها افدح . انها البلد الوحيد الذي يدافع الآن عن أصالته في اوروبا الغربية . فالدول الغربية كلها ، من سويسرا الى ايطاليا حتى النروج ، قد استسلمت للنمط الاميركي .

س. ا : وفرنسا نفسها كانت الى سنوات مستسلمة للنمط الاميركي .

ج. ب : انا لا اقصد السياسة الوطنية ، بل النمط الحضاري ، فهذا ما زال على حاله . انه الوحيد في اوروبا الذي يدافع عن نفسه. وهذا ما لا يفهمه الاميركيون .

ع.ع. د : اذا عدنا الى موضوع العالمية بالنسبة للعرب واليهود ، لم نشك في ان الموقف العالمي تجاه اية حضارة انما هو تعبير عن نضجها وتفتحها وسمو قيمها ، بل تكاد تكون سمة الحضارة محاولتها الانطلاق . وقد ارادت الحضارة العربية في الماضي كما ذكر الاستاذ بيرك ان تعبر عن نفسها عالميا ، حتى انها في البداية ، ايام الاسلام ، قد انطلقت من دين . والدين في معناه الاوسع محاولة للانطلاق عالميا الى المدى الاوسع . وهكذا جعلت من حضارتها دينا لجميع الشعوب . واعتقد ان تخلي الحضارة العربية عن عالميتها مرده الى عهود الركود والانحطاط .

ج. ب : رجعت عن عالميتها عندما رجعت عن اصالتها .

ع. ع. د : ان العوامل الخارجية والعوامل الاستعمارية موجودة، ولكن العامل الاهم ان الحضارة التي ركدت لم تعد قادرة على أن تكون عالمية . وهي تحاول الآن أن تغذي وجودها الاصيل عن طريق الانفتاح على التجارب العالمية . ولنحلل العالمية الآن من وجهة نظر اليهود : لقد كانوا مشتتين في انحاء الارض ، وكانوا يعيشون ضمن حضارات عالمية ، فهم عالميون بحكم وجودهم ذاته . وهكذا انطلقوا من وجود عالمي وساهموا في الحضارات العالمية التي وجدوا فيها ، ولكنهم الآن يرتدون من العالمية الى العنصرية الضيقة .

ج. ب : هذا صحيح .

ع. ع. د : ويستخدمون عالميتهم السابقة كقوة في يدهم من اجل تبرير عنصريتهم . فالفرق بين العرب واليهود هو التالي : ان العرب انطلقوا اصلا من وجود عالمي ، ولكنه ركد وخفت ، وهم الآن يتجهون نحو وجود عالمي جديد ، بينما اليهود ينطلقون من واقع عالمي ليستخدموه ضد العالمية ويؤكدوا به وجودهم الاقليمي .

ج. ب : وهذا ما سيفقد اليهودية العالمية ، في نهاية المطاف ، طابعها العالمي .

ع. ع. د : عندما تصل العنصرية اليهودية المتجلية الآن في اسرائيل الى حد المطالبة والادعاء ببعض التراث العربي ، وبأن المواقع في القدس او الخليل هي اشياء كانت لها ، فهي تقلب ظهر المجن للعالمية وتقع في أسوأ انواع العنصرية الضيقة .

ج. ب : اعتقد ان الصهيونية ، كما ظهرت في الاحداث الاخيرة ، ستسبب صعوبات للاسرائيليين في معظم البلاد الاوروبية لانهم اظهروا انهم لا يدينون بالولاء لاوطانهم ، وربما نشأ عن ذلك موجة من معاداة السامية .

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

في البحرين

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

دار الاداب تقدم :

من النكسة إلى الثورة !

تأليف الدكتور نديم البيطار

أول دراسة علمية تحليلية ايجابية تصدر بعد نكسة ٥ حزيران ، تتناول أسبابها والانحرافات التي أدت اليها وتحلل الواقع العربي المعاصر وتخرج الى رسم الطريق الجديد الذي لا بد من أن تسلكه الاجيال العربية الجديدة : طريق الثورة المؤدية الى النصر .

من فصوله : الانحرافات البعيدة وراء النكسة : الانحراف الفكري ـ الانحراف الايديولوجي ـ الانحراف الذاتي ـ الانحراف الاستراتيجي . وهنـاك فصـول تقدم التمثيل والاستشهاد لكل هذه الانحرافات .

كتاب هام لمؤلف « الفعالية الثورية في النكبة » و « الايديولوجية الانقلابية » ، ينتظـره كل مثقف عربي يريد أن يلتمس ، بعد النكسة ، أفقا للامل ودربا للنصر .

يصدر هذا الشهر

ش. ر : وربما كان في ذلك حظ طيب لنا نحن العرب ...

ج. ب : اذا احسنتم استغلاله .

ع. ع. د : ما عساه يكون موقفنا اذا ادعت اسرائيل انها بعد ان انطلقت من العالمية ، تريد الآن ان تبحث عن العالمية والاصالة في وقت واحد ؟

ج. ب : انا اعتقد أن عليكم ان تقنعوا العالم بأن ادخال الصهيونية الى فلسطين هو ظاهرة استعمارية وامبريالية . ويوم تتمكنون من اقناع جزء هام من الرأي العام العالمي ، تفقد اسرائيل كل سند لها . ولكن من سوء الحظ ان الحجج التي قدمت جعلت حتى الاكفاء من المفكرين يرون الامور معكوسة . وقد رأينا في الصحافة الفرنسية صورا لم يكن الفرنسيون يجرؤون ان ينشروها في أثناء حرب الجزائر . أما هـذه الصور التي نشرت عن اسرائيل فكانت خالية من كل تحفظ وحشمة .

ش. ر : انها تلك الصحف نفسها التـي كانـت ضـد استقلال الجزائر !

ج. ب : تماما .

ش. ر : حتى مجلة الاكسبرس التي وقفت ضد حـرب الجزائر ، نشرت حديثا صورا للجنود الاسرائيليين وهم يرتدون لباسا اشبه بلباس المظليين الفرنسيين ...

ج. م : وتكلمت عنهم بلهجة ثناء ...

ج. ب : الحجة التي اريد الادلاء بها بهذا الصدد هي التالية : ان الاستعمار ظاهرة تاريخية ، وهناك التكنولوجيا التي تحتل مظاهـر ايجابية ومظاهر سلبية . وهذه المظاهر السلبية تقوى شيئا فشيئا حتى يحدث هذا الانفجار الذي سيقود الى نهاية الاستعمار . اما بالنسبة للصهيونية ، فليس ثمة اي مظهر ايجابي ، لانه ليـس ثمة تربيـة تكنولوجية ولا تدريب على لغة عالمية الخ... ليس ثمة شيء علـى الاطلاق . ان الصهونية اذن هي « الاستعمار المطلق » . الاستعمـار المطلق لانه خال من اي جانب ايجابي .

س. ا : ولكنهم سيقولون انه نموذج جديد من الاستعمار !

ع. ع : ان من يملك القدرة على الوصول للجماهير يحدد تفكير الجماهير . من يملك النيويورك تايمز ومن يملك التلفزيـون والاذاعات يملك تفكير الاميركيين . ولست اعرف كيف هي الحال في فرنسا .

ج. ب : لا ، ليست سيئة الى هذا الحد . ولكني مع ذلك فوجئت بقوة الدعاية الصهيونية . والامر الآن يتجاوز القضية الفلسطينية .

ش. ر : انه مشكلة عالمية .

ج. ب : هذا صحيح . ولكن هل سيقبل العالم طويلا هـذه الظاهرة ؟

ج. م : انهامن مخلفات روح الاستعمار القديم الذي يتجلى الآن في الصهيونية .

ج. ب : هي بقايا كما تقول ، وهي تزول تدريجيا .. ولكننـا نراها الآن تتجدد وتنمو ...

م. ن : سمعت اخيرا احد البلجيكيين يقول ان على بلجيكا أن تسترد افريقيا ، لان هذا هو الحل الوحيد لحل مشكلاتها !

ج. ب : ومثل هذا موضوع الفيتنام . ولكني ما زلت اعتقد ان القضية بالنسبة اليكم هي قضية دفاع ومرافعة وحجج دامغة تأييـدا لقضيتكم .

ج. م : على ان هذا لا يمنع من ان نستعد للدفاع عن حقـوقنـا بالقوة العسكرية .

ج. ب : انني موافق على ذلك .

ش. ر : تقول انها قضية مرافعة ودفاع وحجج . ولكن اذا كان صحيحا اننا لم نحسن تقديم الحجج تأييدا لقضيتنا ، فمن الصحيح ايضا ان الصحافة العالمية ، حتى تلك التي ليست واقعة تحت تأثيـر الصهيونية ، لم تتصرف وفقا لضميرها . انها لم تكلف نفسها مشقـة درس الموضوع عن كثب ، وهذا ما ينبغي أن يعود عليها بشعور العـار والخجل .

ج. ب : هذا حق . فقد اصيب الاعلام بآفات كبيرة . آفـات خطرة .

ش. ر : يجب اذن ان ندين الاعلام الغربي ، كما يدان الآن الاعلام العربي .

ج. ب : مع فرق ان هذا لا يكلف الاعلام الغربي شيئا . وليس هذا هو شأن اعلامكم .

م. ن : ان اقفال قناة السويس يكلفنا عشرة ملايين استرلينية في السنة ...

ع. ع :لقد اتضح لي حين كنت في اميركا اننا نعرف عن فييتنام اكثر مما يعرف الشعب الاميركي . انهم يسيرون شعبهم كما يريـدون ويخضعونه لعملية « غسل دماغ » ...

ج. م : لقد قامت اسرائيل بعملية غسل دماغ في اوروبا كلها !